وترجعُ قيمةُ مكتبة القاضي ابن جَماعَة ، التي اشْتراها محمود الأُسْتادَّار ، إلى احْتوائها على الكثير من الكتب النادرة والمكتوبة بخُطوط مُؤلِّفيها ، يقول ابن حجر في ترجمة القاضي ابن جَماعَة : «كان يَشْتَري النُّسْخَة من الكِتاب التي إليها المُنْتَهى في الحُسْن ، ثم يقع له ذلك الكتاب بخَطِّ مُصَنِّفه فيشتريه ولا يترك الأولى **إلى أن اقْتَنى بخُطُوط المُصَنِّفين ما لا يُعَبَّر عنه كثرة** ، ثم صارَ أكثرُها إلى جمال الدِّين محمود الأُسْتادَّار فوَقَفها بمَدْرَسَته بالمَوازنِيِّين وانْتَفع بها الطَّلَبَةُ إلى هذا القت»[١] .

وتَولَّى الحافظُ ابن حَجَر العَسْقلاني أمانَة هذه الخِزانَة بعد سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م ، ونَظَرًا لنفاسَة كُتب الخِزانَة «عَمِل لها فَهرَسْتًا على الحُرُوف في أسماء التَّصانيف ونحوها وآخر على الفُنُون» .

ورَغْم أنَّ ابن حَجَر ذَكَرَ أنَّ مجموعَ كُتُب هذه الخِزانَة كان نحو أربعة آلاف مُجَلَّدَة ، فلم يتبق منها في نهاية القَرْن الماضي عندما جُمِعَت الكُتُب الموجودة في المدارس والمساجد وضُمَّت إلى الكتبخانة الخديوية (دار الكتب المصرية) ، سوى ثمانية وخمسين كِتابًا فقط[٢] ؛ فقد خَرَجَ القسمُ الأكبر من كُتُب هذه الخِزانَة في أعْقاب الفَتْح العُثْماني لمصر وتَوَزَّعَتْه المكتباتُ الوَقْفيَّة التي أنْشئَت في إستانبول والأناضُول ، ونستطيع الآن من خِلال علامَة الوَقْف التي سَجَّلَها محمود الأسْتادّار على نُسَخ مكتبته أن نُعيدَ بِناء قِسم كبير من كُتُب هذه المكتبة . وجاء نَصُّ وَقْفية محمود الأسْتادَّار على جَميع خِزانته بالصِّيغة الآتية :

«الحَمْدُ لله حَقّ حَمْده

وَقَف وحَبَّسَ وسَبَّل المُقرّ الأشْرَف العالي الجمالي محمود أسْتادّار العالية الملكي الظَّاهري أعَزّ الله تعالى أَنْصارَه وخَتَمَ بالصَّالِحات أعمالهَ جَميع هذا الجلَّد وما قبله من المجلَّدات من كتاب [اسم الكتاب] وعِدَّةُ ذلك [عَدَد المجلَّدات] من كِتاب [اسْم الكتاب واسْم مؤلِّفه] وَقْفًا شَرْعيًا على طَلبة العِلْم الشَّريف ينتفعون به على الوجْه الشَّرْعي وجَعَلَ مقَر ذلك بالخِزانَة السَّعيدة المُرْصَدَة لذلك بمَدْرَسَته التي أنشأها بخُطّ الموازنيين بالشَّارع الأعْظم بالقاهرة المحروسة ، وشَرَط الواقِف المشار إليه أن لا يخرج ذلك ولا شيء منه من

(١) نفسه ١ : ٣٥٥ .

(٢) فؤاد سيد : «نصان قديمان في إعارة الكتاب» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨) ، ١٢٣ .

المَدْرَسَة المذكورة برَهْن ولا بغيره . ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] تاريخ الخامس والعشرين من شَعْبان المكرَّم سنة سبع وتسعين وسبع مائة» .

والكُتُب التي وَصَلَت إلينا منها هي : «تَجَارِب الأُمم وعَواقِب الهِمَم» لمِسْكَوَيْه ، المتوفى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م ، نُسْخَة في ستة مجلَّدات كتبت سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م في مكتبة آياصوفيا برقم ٣١١٦ - ٣١٢١ ؛ «كتاب الصِّناعتين» لأبي هلال العسكري بخطِّه في مكتبة كوبريلي برقم ١٣٣٣ - ١٣٣٤ ؛ «مُعْجَم البُلْدان» لياقوت الحموي في مكتبة كوبريلي برقم ١١٦١ - ١١٦٥ ؛ «تارخ الإسلام» للذَّهبى بخَطِّه نُسْخَة في عشرة مجلدات كتبها ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م في مكتبة آيا صوفيا برقم ٢٠٠٥ - ٢٠١٤ ؛ نسخة ناقصة من «سِيَرَ أعْلام النُّبَلاء» للذَّهَبي كتبت سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م نَقْلاً عن نُسْخَة المؤلِّف في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩١٠ أ ؛ «المَعْرِفَة والتاريخ» لأبي يُوسُف يعقوب بن سُفْيان البَسَوي ، محفوظة في مكتبة روان كشك رقم ١٤٤٥ ؛ «أبْكار الأفكار في أصُول الدِّين» لسَيْف الدِّين أبي الحسن علي ابن محمد الآمِدي ، المتوفى سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م ، في مكتبة آيا صوفيا برقم ٢١٦٥ - ١٢٦٦ ؛ «ديوان البُحْتُري» نُسْخَة كتبت سنة ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م بخَط علي ابن عبيد الله الشِّيرازي ، في مكتبة كوبريلي برقم ١٢٥٢ .

ومكتبةُ العالِم هي مكتبة الأديب المُؤرِّخ صَلاح الدِّين خَليل بن أيْبَك الصَّفَدي ، المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م ، الذي تُقَدّم لنا مُؤلَّفاتُه العديدة كَمًا كبيرًا من المعلومات الهامَّةَ المتنوعة ، فيذكر عن نفسه أنَّه كَتَبَ بخط يده ما يُقارب خمس مائة مجلَّدة بينها ثلاث مائة مُجَلَّدة من تصنيفه[٢] . وقد بدأ عمله في النَّسْخ ابتداءً من سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م حيث وَصَلَت إلينا نُسْخَتُه التي كَتَبَها لنفسه من كِتاب «وَفَيات الأعْيان» لابن خَلِّكان وهي محفوظة في مكتبة غوطا بألمانيا ، كما وَصَل إلينا عَدَدٌ هائِلٌ من الكُتُب التي كَتَبَها بخَطِّه وكذلك السَّماعات والقراءات التي سَجَّلَها على نُسَخ مكتبته .

وقد جَمَعَ الصَّفَدي مكتبةً كبيرةً يُشير هو بنفسه إلى مُقتنياتها خلال صفحات مُؤلَّفاته ، وعلى الأخَصّ «الوافي بالوَفَيات» ، والتي يُشير فيها إلى تَمَلُّكه عددًا كبيرًا من المُؤلَّفات بخُطوط مؤلِّفيها . ومن حُسْن الحَظّ وَصَلَت إلينا العَديدُ من النُّسَخ التي تَحْمِل علامَة تَمَلُّك

(١) البقرة : ١٨١ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة (تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٤م) ، ٢ : ٨٨ .

الصَّفَدي لها والتي تُؤكِّد ما ذَكَرَه في مؤلَّفاته ، فمن بين هذه الكُتُب مُؤلَّفاتُ علي بن سعيد المغربي : «كنوز المطالب في آل أبي طالب» ، قال : مَلَكْته بخَطِّه في أربع مجلَّدات»[١] ؛ وكتاب «الغَراميَّات» ، قال : «وملكته بخَطِّه»[٢] ؛ وكتاب «المُشْرِق في حُلى المَشْرق» ، قال : «مَلَكْتُ منه ثلاثة مجلَّدات بخَطِّه»[٣] ؛ وكتاب «المُغْرِب في حُلَى المغرب» ، قال : «ومَلَكْتُه بخَطِّه»[٤] ، ووَصَلَت إلينا هذه النُّسْخَة عينها حيث نجد على ظَهْرِيَّة السِّفْر الرابع منها بخَطّ الصَّفَدي :

«طالعه وانتقى منه مالِكُهُ خليلُ بن أيْبَك بن عبدالله الصَّفَدي عَفَا الله عنه» .

وعلى غُلاف السِّفْر السَّادس من النُّسْخَة نفسها :

«طالعه وعلَّق من ما اختاره مالِكُه خَليلُ بن أيْبَك عَفَا الله عنه» .

وكان من بين كُتُب مكتبته كذلك نُسْخَةٌ من كِتاب «شَرْح اللُّمَع» لأبي القاسِم عُمَر بن ثابت الثَّمانيني النَّحْوي الضَّرير ، المتوفى ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م ، بخَطِّ إسماعيل بن مَوْهُوب الجَواليقي حيث يذكر في ترجمته أنَّه كان «مَليحَ الخَطّ مَلَكْتُ «شَرْح اللُّمَع» للثَّمانيني بخَطِّ هذا إسماعيل وهو في مجلَّدَةٍ واحدة في غاية الحُسْن وصحَّة الضَّبْط قَلَّ أن رأيت مثلها»[٥] ؛ وكذلك نُسْخَةٌ من «ديوان ابن بابَك» في مجلَّدةٍ واحدة بخَطِّ ابن خَروف النَّحْوي ، المتوفى سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م[٦] ؛ ونُسْخَةٌ من كِتاب «المَغَازي» لأبي القاسم عبدالرحمن بن محمد ابن عبدالله بن حُبَيْش الأَنْصاري ، المتوفى سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م في عِدَّة مجلَّدات بخَطِّه وهو خطٌّ مغربي جَيِّد[٧] ؛ ونُسْخَتان من «ديوان أُسامة بن مُنْقِذ» بخَطِّ يده[٨] ؛ ونُسْخَةٌ من كِتاب «فَلَكَ المعاني» لابن الهَبَّارِيَّة بخط وتصْوير محمد بن أحمد بن عبدالله السُّلَمي المُصَوِّر كتبها وصَوَّرَها في المحرَّم سنة ثمانٍ وعشرين وستّ مائة[٩] .

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٥٤ .
(٢) نفسه ٢٢ : ٢٥٣ .
(٣) نفسه ٢٢ : ٢٥٢ .
(٤) نفسه ٢٢ : ٢٥٢ .
(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ٩ : ٢٣٠ .
(٦) نفسه ٢٢ : ٩٠ .
(٧) الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨ : ٢٥٩ .
(٨) نفسه ٨ : ٣٨٧ .
(٩) نفسه ٢ : ١١٣ .

أمَّا كُتُبُ مكتبة الصَّفَدي والتي كان يُسَجِّل عليها بخَطِّ يده العبارة التالية : «من كُتُب خَليل بن أيْبَك الصَّفَدي» ، فقد وَصَلَ إلينا منها عَدَدٌ غير قليل مثل : «رسالة أبي عُثْمان عَمْرو بن بَحْر الجاحِظ» وهي نُسْخَة نفيسة كتبها الخَطَّاطُ المعروف علي بن هِلال بن البَوَّاب محفوظة في مكتبة الأوْقاف الإسلامية بإستانبول برقم ١٠٢٤ ، وقد انْتَقَلَت هذه النُّسْخَة بعد ذلك إلى مِلْك أبي بكر بن رُسْتُم الشِّرْواني الذي سأتَحَدَّث عنه بعد قليل ؛ ونُسْخَة كتاب «الأنْوار ومَحاسِن الأشْعار» للشَّميساطي ، وهي نُسْخة خزائنية كُتِبَت في الأصْل برَسْم خِزانَة الخَليفَة المُسْتَعْصِم بالله العَبَّاسي ، محفوظة في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٣٩٢ ؛ ونُسْخَة كِتاب «الكاشِف عن رجال الكُتُب السِّتة» للحافِظ الذَّهَبي المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم ١٧ مصطلح م والتَّملُّك مُؤَرَّخ سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦٤م ؛ ونُسْخَة ترجمة كِتاب «الحيوان لأرسطو في مكتبة جامعة ليدن برقم or 14211/12 . كما يوجد خَطُّ الصَّفَدي على ظهرية الجزء الرابع من كِتاب «مُعْجَم البُلْدان» لياقوت الحَمَوي نُسْخَة مكتبة كوبريلي رقم ١١٦٣ ونَصّه : «فَرَغَ منه وممَّا قبله مُخْتارًا ومُنْتَقيًا خَليل بن أيبك الصَّفَدي حامِدًا ومُصَلِّيًا» .

والمكتبةُ الأخيرة هي مكتبة أحد كبار المثَقَّفين العُثْمانيين هو **أبو بكر بن رُسْتَم بن أحمد بن محمود الشِّرْواني** ، المتوفى سنة ١١٣٢هـ/١٧٢٢م . وهو أحَدُ كِبار هُواة جَمْع الكُتُب والتي تَتَميَّز مجموعَتُه بتنوعها ونُدرَة مجلَّداتها إضافة إلى أهَمِّيتها . والعَديدُ من النُّسَخ المخطوطة المُوَزَّعة على مكتبات العالم مَصْدَرُها مكتبة هذا الأديب العُثْماني وتحمل كلُّها عَلامَة التَّمَلُّك الآتية :

«اللَّه حسبي . من كُتُب العَبْد الفقير إلى اللَّه أبي بكر بن رستم بن أحمد بن محمود الشَّرُواني وَفَّقه اللَّه إلى ما يحب ويرضى» .

أو «اللَّه حسبي . من كُتُب أبي بكر بن رُسْتُم بن أحمد الشِّرْواني» .

وتوجد هذه النُّسخ على الأخصِّ في مكتبات إستنابول وباريس والمدَينة المنوَّرة ولَيْدن والقاهرة .

فقد كانت أسْواقُ إستانبول تَعِجّ منذ نهاية القرن العاشر الهجري/ القرن السَّادِس عشر الميلادي بعَدَدٍ كبيرٍ من المخطوطات العربية والشرقية ؛ فيذكر أبو الحسن علي بن محمد بن علي التَّمَجْروتي ـ الذي تَوَجَّه إلى إستانبول سنة ٩٩٨هـ / ١٥٩٠م برسالة من سُلْطان المغرب إلى السُّلْطان العثماني ـ أنَّه تُوجَد بالقُسْطَنطينية مخطوطاتُ بكميَّةٍ هائلة تَطْفح بها

المكتباتُ والأسواقُ ، وأنَّ المخطوطات تصل إليها من كلِّ أنحاء العالم ، وأنَّ اللَّه وَفَّقه إلى حَمْلِ عَدَدٍ كبير منها عظيم الأهمية[١] .

ويُؤَكِّدُ هذه الحالة رحالَّةٌ آخرون مثل المستشرق الفرنسي Antoine Galland الذي أمضى عامي ١٠٨٣ ـ ١٠٨٤هـ / ١٦٧٢ ـ ١٦٧٣م في إستانبول ، ينتقي من دكاكين الوَرَّاقين نَوادِر المخطوطات العربية والفارسية والتركية التى زَوَّدَ بها مكتبة الملك في باريس Bibliotheque du Roi.[٢]

وتَكْشِفُ هذه الشَّهادات إلى أي مَدَى كانت تجارةُ الكُتُب منتعشةً في العاصمة العثمانية . في هذه الظُّروف جَمَع أبو بكر بن رُسْتُم الشَّرْواني مكتبته الضَّخْمة التي تَفَرَّقت بعد وفاته وتَوَزَّعت على العديد من المكتبات العالمية . ومن مخطوطات مكتبته الموجودة في مكتبات إستانبول :

كِتاب «تَحْديد نهايات الأماكن» للبيروني ، وهي بخطِّه كتبت سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م ، في مكتبة الفاتح برقم ٣٣٨٦ ؛ وكِتاب «الذَّخائِر والتُّحَف» في مكتبة أفيون قره حصار برقم ١٤/٧٠٢ ؛ وكتاب «تَثْقيف اللِّسان» لابن مكي الصِّقِلّي في مكتبة مُراد ملا برقم ١٧٢٥ ، ومُسَوَّدَة كتاب «المواعظ والاعتبار» للمَقْريزي في مكتبة خزينة بمتحف طوبقبوسراي برقم ١٤٧٢ ، وكتاب «التَّعْريف بابن خَلْدون» في مكتبة آياصوفيا برقم ٣٢٠٠ ، وكتاب «تَصْحيح التَّصْحيف» للصَّفَدي في مكتبة مُراد ملا برقم ١٥٥٢ ؛ وكتاب «المُشْتَرَك وَضْعًا والمُفْتَرق صَقْعًا» لياقوت الحموي في مكتبة آياصوفيا برقم ٤٧٦٩ ؛ وكتاب «شَرْح ديوان المُتَنَبي لابن جِنِّي» في مكتبة يوسف أغا برقم ٧٥٠٦ ؛ وكتاب «أدَب الكاتِب لابن قُتَيْبَة في متحف الأوقاف برقم ٢٠٧١ ؛ وكتاب «السِّياسة والإمامَة» لابن قُتَيْبَة في مكتبة آياصوفيا برقم ٢٧٨٩ ؛ وكتاب «أعْلام النُّبُوَّة» للماوَرْدي في مكتبة يُوسُف أغا برقم ٥٢٥١ ؛ وكتاب «نهاية الإدْراك في دراية الأفْلاك» للشِّيرازي في مكتبة فيض الله برقم ١٣٤٩ ؛ وكتاب «مَراصِد الاطِّلاع» لابن عبدالمُؤْمن في مكتبة داماد إبراهيم برقم ٨٥٧ ؛ وكتاب «مَباهِج الفِكر ومَناهج العِبَر» للوَطْواط الكتي في مكتبة آق ساكي برقم ١٦٩ ؛ وكتاب «لَذَّة السَّمْع في رِقَّ الدَّمْع» للصَّفَدي ، في مكتبة إسماعيل صائب برقم ١٣٨٥ ؛ وكتاب «اللَّطائف من دَقائق المعارف للمَديني ، في مكتبة جار الله برقم ٤٠٢ ؛ وكتاب «غُرَر الحِكَم ودُرَر الكلم» للآمدي في

---

(١) التمجروتي : النفحة المسكية في السفارة التركية ، ٢٩ .

(٢) Hitzel, Fr., Manuscrits, livres et culturelivresque a Istanbul, RMMM 87 -88 (1998),p.20.

مكتبة عاطف أفندي برقم ٢٢١٨ ؛ وكتاب «تَرَسُّل القاضي الفاضل» في مكتبة أيُّوب حاجي باش أغا برقم ٨٢٧ ، وكتاب «تَراجِم الفُقَهاء الشَّافعية» للأردبيلي ، في مكتبة يوسف أغا برقم ٧١١٢ ؛ وكتاب الإبْدال والمعاقَبَة» لأبي إسحاق الزَّجّاج في مكتبة أيُّوب حاجي باش أغا برقم ١٩٤ ، وكتاب «تَرْشيح العِلَل في شَرْح اللُّمَع» لابن ناصِر الحسيني ، في مَكتبة لاله لي برقم ٣٣١٤ ؛ وكتاب «الرُّوح» لابن قَيِّم الجَوْزية ، في مكتبة جامعة إسْتانبول برقم ٣٢٦٧ .

أمَّا المكتبة الوطنية في باريس BnF فتحتفظ من بين نُسَخ مكتبة أبي بكر بن رُسْتُم الشِّرْواني بالمخطوطات التالية :

«الرِّسالة القُشَيْرية» برقم ١٣٣٠ ؛ و«الآثار الباقية عن القرون الخالية» للبيروني برقم ١٤٨٩ ؛ و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير برقم ١٤٩٣ ؛ و«مرآة الزمان» لسِبْط ابن الجَوْزي برقم ١٥٠٥ ؛ و«رَوْض المناظر في عِلْم الأواخر والأوائل» لابن الشِّحْنَة برقم ١٥٣٩ - ١٥٤١ ؛ و«إنْباء الغُمْر» لابن حَجَر العَسْقلاني برقم ١٦٠١ ؛ و«المُقَفَّى الكبير» للمَقْريزي برقم ٢١٤٤ . ويضاف إلى ذلك المخطوطات الفارسية أقام ٥٨ ، ٥٦٧ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ١٣٥ ، ١٦٧ ، ١٨١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٣٧٥ .

وتَحْتَفظُ مكتبةُ شَيْخ الإسلام عارِف حكمت بالمَدينة المُنَوَّرَة بنسخة من كتاب «طَبَقات الشُّعَراء» لمحمد بن سَلام الجُمَحي تحت رقم ٤٤١ ، كانت من بين مَخْطوطات مكتبته ، وبنسخة من «كتاب الضَّاد والظَّاء» لأبي الفَرَج محمد بن عبيدالله بن سُهَيْل النَّحْوي برقم ٨١ لغة .

كما تحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة من كتاب «رياض الأُنس لعقلاء الإنس في معرفة أصل أحوال النبي ﷺ ، لأبي شجاع بن شيرويه بن فناخسرو الدَّيْلمي تحت رقم ٤٨ تاريخ م» كانت أيضًا من بين نُسخ مكتبته .

والقِسمُ الأكبر من مَخطوطات مكتبة أبي بكر بن رُسْتُم الشِّرْواني مصدرها من القاهِرة ، حيث تُوجَد عليه مُطالَعاتٌ وتوقيفاتٌ تَمَّت في القاهرة .

ظهرية نسخة «التعليقات والنوادر» التي كانت في خزانة كتب الفاطميين

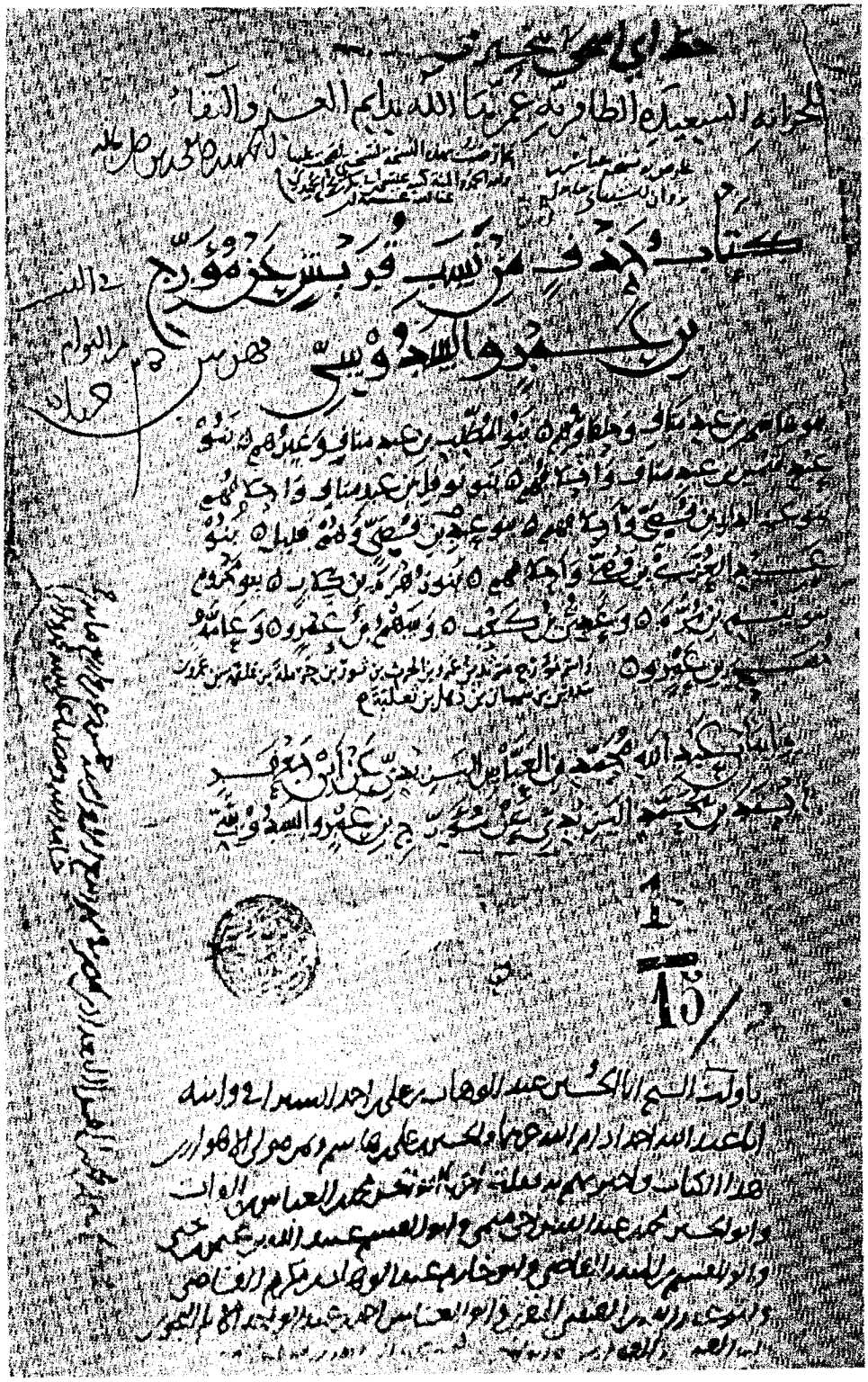

ظهرية نسخة «حَذْف من نَسَب قريش» التي كانت في خزانة كتب الفاطميين

نسخة كتاب «المقتضب للمُبَرِّد المكتوبة لخزانة أبي الحسين محمد بن الحسين العلوي

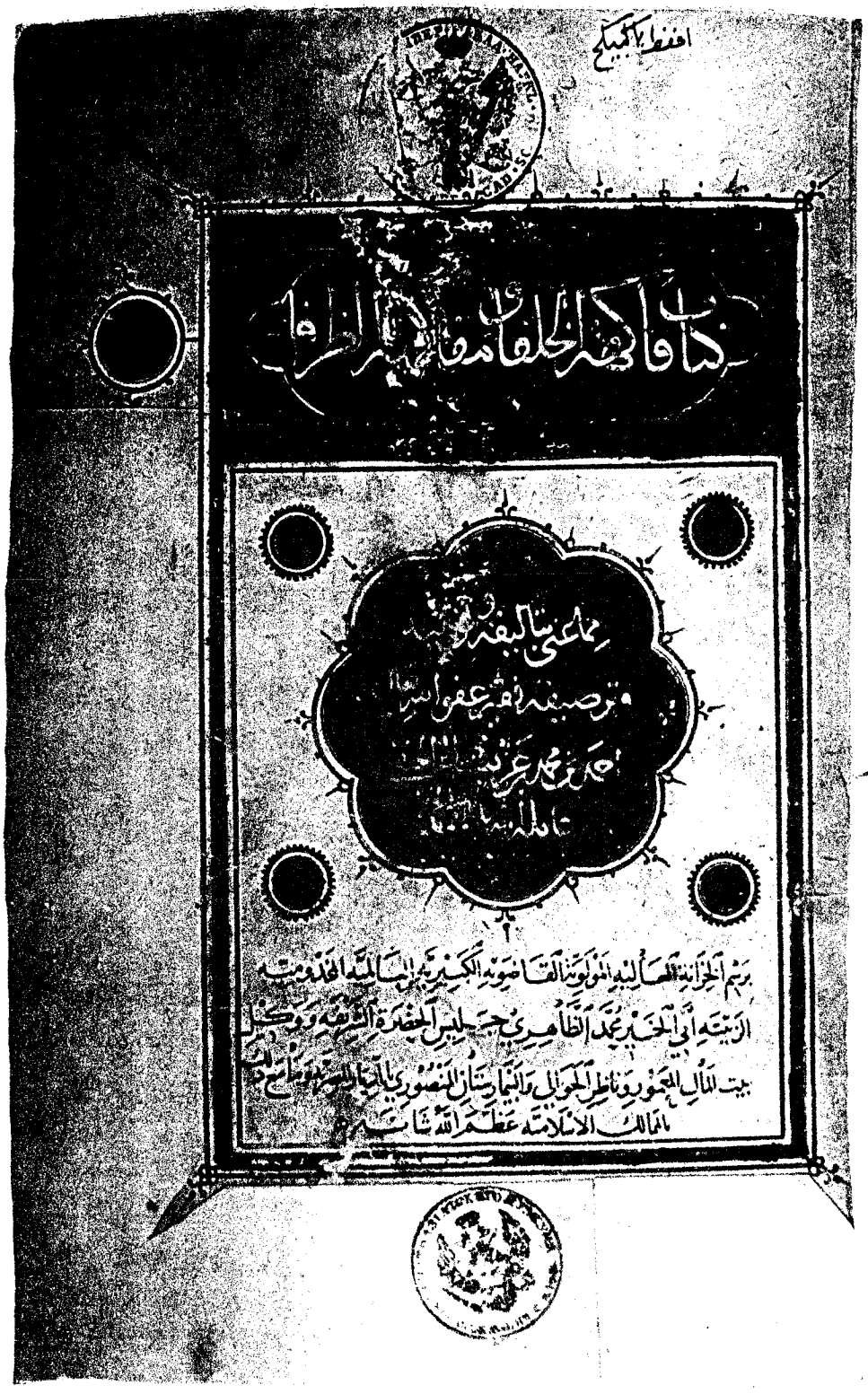

نسخة من كتاب «فاكهة الخلفاء» لابن عَرَبْشاه برسَمْ خزانة زَيْن الدين أبي الخير محمد الظَّاهري

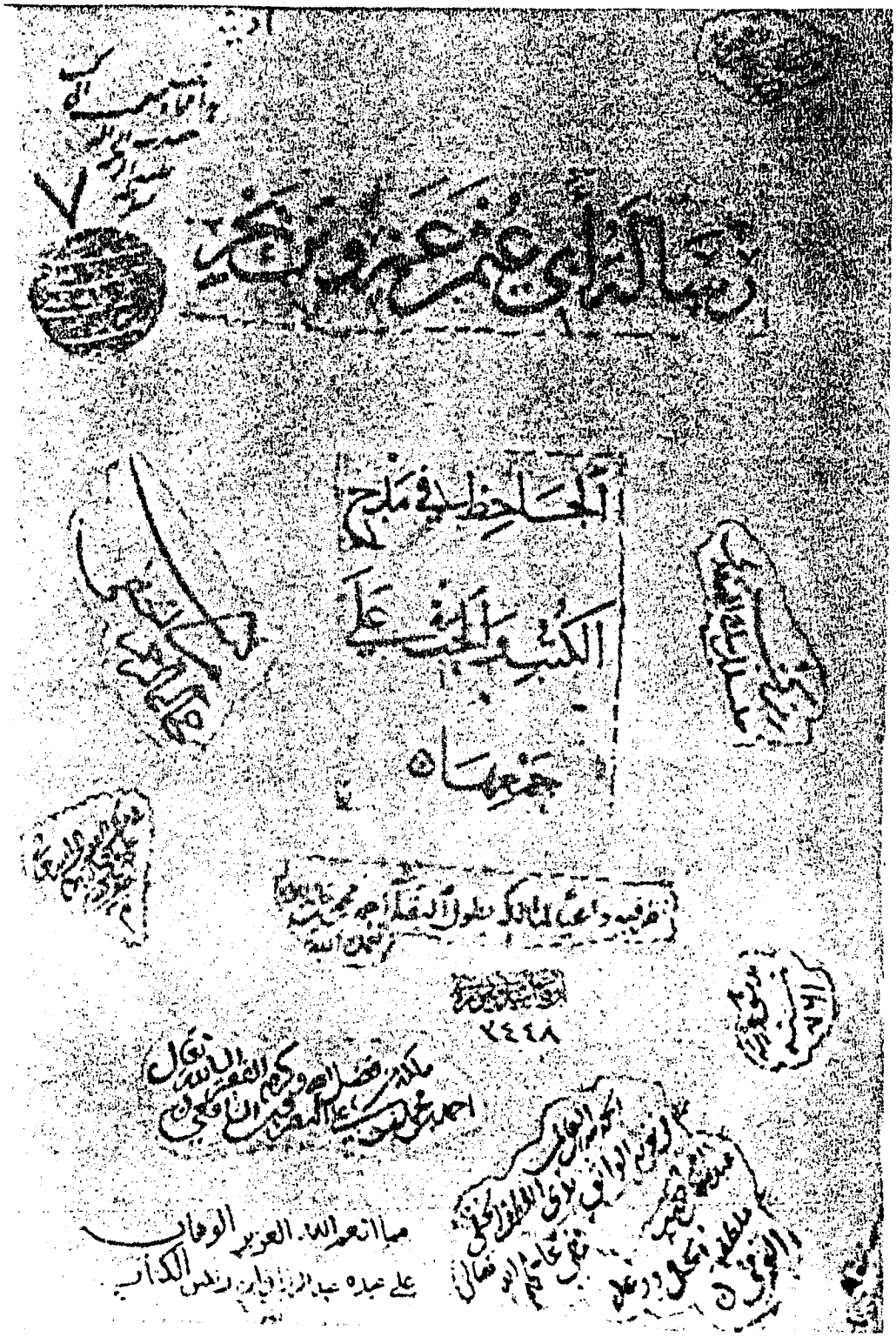

رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في مدح الكتب وعليه تملك خليل بن أيبك الصَّفَدي

ظهرية «الوافي بالوفيات» للصفدي برسم خزانة الأمير يَشْبَك من مَهْدي الدَّوادار

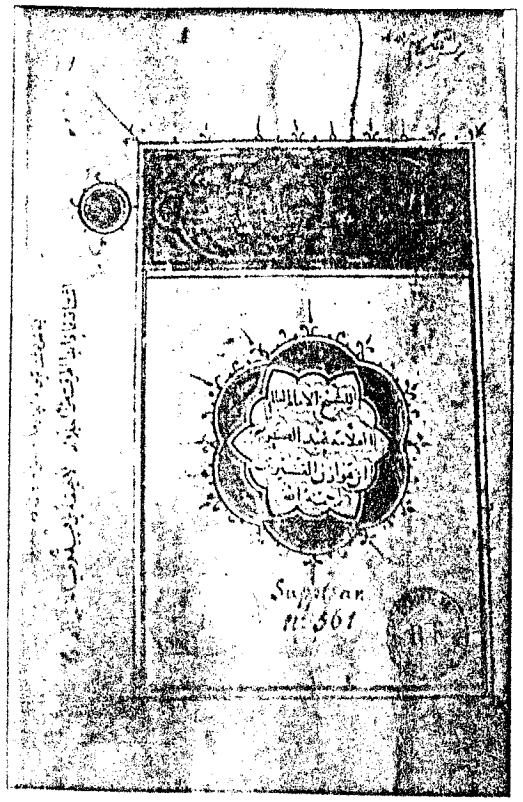

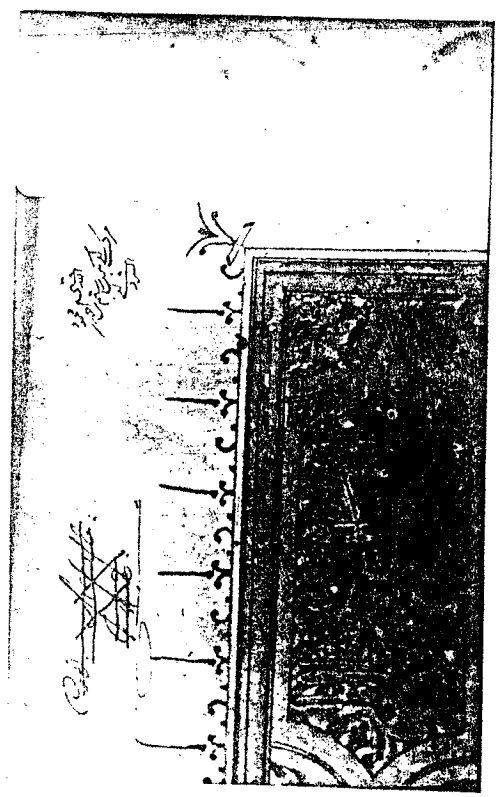

نماذج لتوقيع أبي بكر بن رُسْتُم الشّرْواني علي نسخ مكتبته

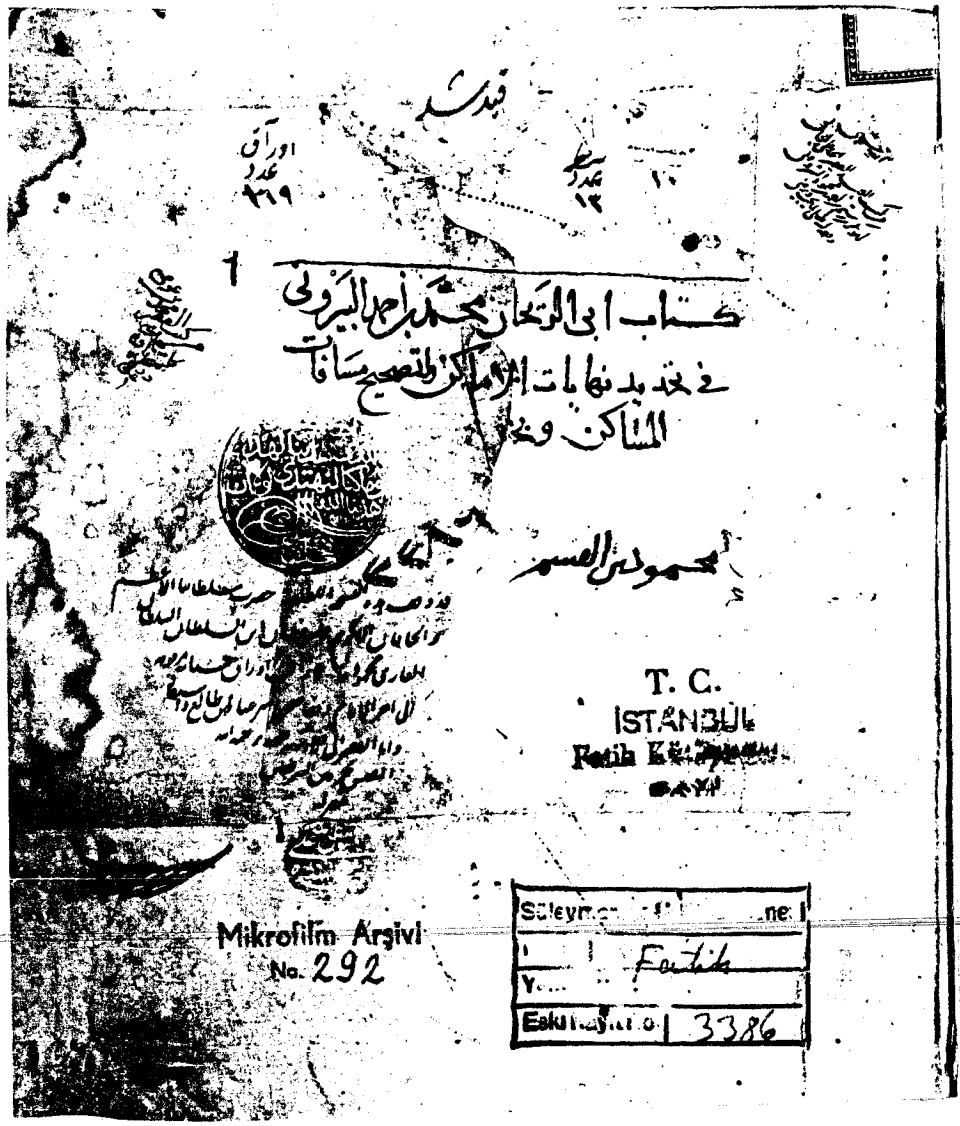

نُسْخة كتاب «تحديد نهايات الأماكن» للبيروني وعليها تملُّك أبي بكر بن رستم الشِّرْواني

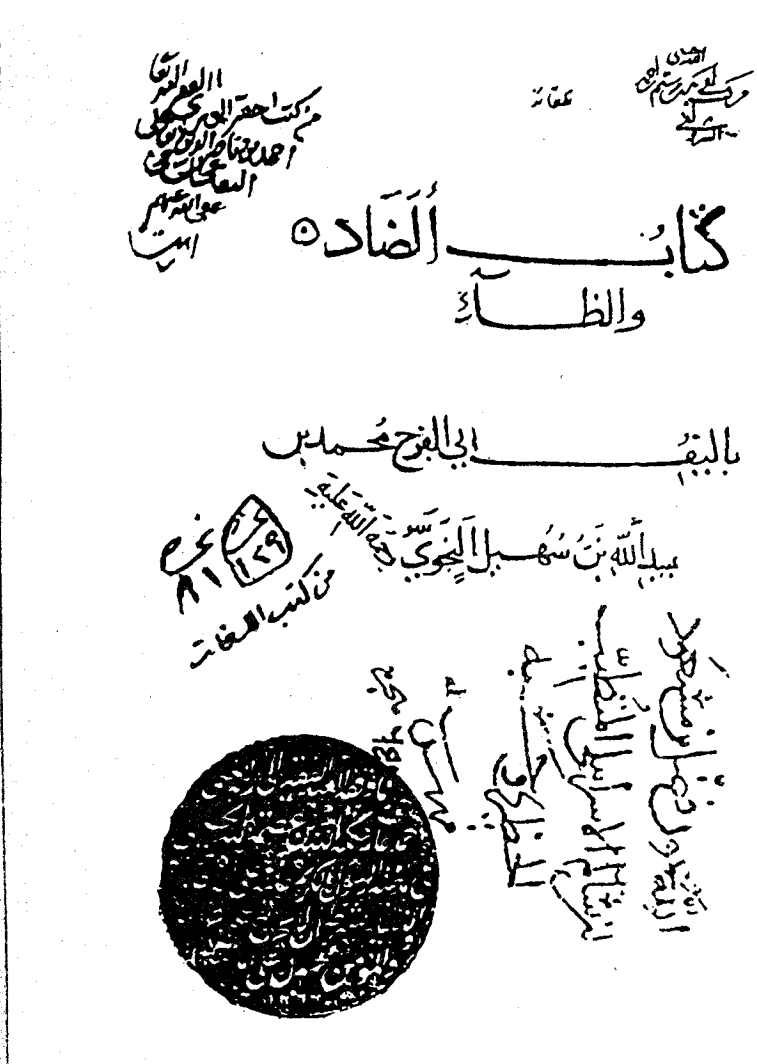
كتاب الضاد والظاء

بالبقيع

أبي الفرج محمد بن

عبيد الله بن سهيل النحوي

من كتب المغاربة

٨١ غ ١٢٩

نُسْخَة كتاب «الضَّاد والظَّاء» لابن سهيل النحوي وعليه تَمَلُّك أبي بكر بن رستم الشِّرْواني